توطئة : عوامل النهضة العربية وأثرها على الحركة النقدية

يجمع المؤرخون على تقسيم التاريخ [الأدبي] العربي والإسلامي إلى المراحل التالية، وإن اختلفوا في تحديد بدايات كلّ عصر ونهايته على نحو دقيق:

العصر الجاهلي: من 150 ق.م إلى ظهور الإسلام

العصر الإسلامي: من ظهور الإسلام إلى 40هـ سنة نشأة الدولة الأموية

العصر الأموي: من 40هـ إلى 132هـ سنة نشأة الدولة العباسية

العصر العباسي: من132هـ إلى 656هـ سنة سقوط بغداد على يد التتار

عصر الانحطاط/الضعف/المماليك: من656هـ إلى1220هـ سنة استيلاء محمد علي باشا على مصر.

عصر النهضة: من 1220هـ إلى بداية الحرب العالمية الأولى

فمصطلح «النهضة العربية» أو «اليقظة العربية» يحيل إلى الفترة التي تلت عصور الانحطاط، وقد شهدت حراكا فكريا وثقافيا وسياسيا وعلميا أخرج الأمة العربية من سباتها، وتعرّفها موسوعة «ويكيبديا العالمية» كما يلي:

النهضة العربية أو كما تعرف باسم اليقظة العربية، أو حركة التنوير العربية؛ هي الحالة الفكرية والاجتماعية التي سادت أساسًا في مصر العلوية وسوريا العثمانية، وامتدت لتشمل عواصم عربية أخرى كبغداد، وفاس ومراكش، تمامًا كما في المهجر، خلال القرن التاسع عشر. يضع بعض المؤرخين أمثال ألبرت حوراني تاريخ بدء النهضة عام 1798 بالحملة البونابرتية، ويضعها آخرون دخول إبراهيم باشا إلى سوريا عام 1832، لتنتهي مع اندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1914. أفضت النهضة إلى إعادة انتشال اللغة العربية مما طرأ عليها من تقهقر، وقدّمت أدبًا عربيًا معاصرًا للمرة الأولى منذ قرون، وعبر الجمعيات السياسية بعثت النهضة مشاعر الهوية العربية مجددًا، كما ناقشت قضايا الهوية للبلاد العربية المختلفة وعلاقتها بالرابطة العثمانية، (...). انتقدت النهضة بوصفها محصورة بالطبقات العليا الأرستقراطية في المدن، ولم تمسّ الأرياف وجماهير الشعب العريضة إلا بشكل

هامشي؛ كما انتقدت بوصف منتوجها «إشكالي»، وأيضًا «لم تكن النهضة في وجودها المتعين، إلا تمويهًا أيدلوجيا برجوازيًا للتبعية»[1].

وقد تضافرت عوامل عدّة في التمهيد لعصر النهضة وتشكيل ملامحها في آن واحد، ومن تلك العوامل نذكر:

العوامل الداخلية: تمثّلت في:

* **حركات الإصلاح الإسلامي:** شهدت بعض الدول العربية والإسلامية حركات إصلاحية إسلامية قادها جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده في مصر، وعبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي في الجزائر، وركّزت تلك الحركات على نبذ البدع والخرافات، والدعوة إلى مكافحة الاستعمار، والدعوة إلى استعمال العقل والتدبّر في معاني القرآن والسنّة، والحفاظ على اللغة العربية.

* **الحركة المسيحية التبشيرية:** كان للمسيحيين دورهم في نشر الوعي الوطني، ومحاربة الاستبداد الداخلي والخارجي /الاستعماري، وذلك عبر الكتب التوعوية والجمعيات السياسية، والندوات، ومن ذلك «جمعية الإصلاح القبطية 1908)، و«جمعية الآباء البيض» عام 1868 بالجزائر برئاسة الأسقف لافيجري، والبعثة الأمريكية التي أنشأت أقدم مدرسة إرسالية في لبنان عام 1834، وتأسست «الجمعية السورية» لترقية الفنون والعلوم عام 1847، وأصدرت عام 1852 مجلة باسمها يحرّرها بطرس البستاني.

العوامل الخارجية: تمثّلت في:

* **حملة نابليون على مصر والشام:** (1798-1801) عدّ هذا الحدث عند الكثير من المؤرخّين البداية الحقيقية لعصر النهضة، لما ترتّب عليه -في زعمهم- من صدمة حضارية أيقظت العرب من سباتهم، ونبّهتهم إلى البون الشاسع بين انحطاطهم وجهلهم وتخلفهم في كلّ الميادين وتقدّم الآخر الأوروبي وازدهاره ورقيّه في كلّ المجالات، خاصة العسكري والتكنولوجي

* **دور المستشرقين:** في انفتاح الوطن العربي على الفكر الأوروبي، وذلك من خلال المستشرقين الذي وضعوا أمام القراء العرب أدوات فكرية ومناهج وطرائق في

1- النهضة العربية: موسوعة ويكيبديا العالمية، https://ar.wikipedia.org/wiki%A

البحث لم يعهدوها من قبل، فالاستشراق اهتمام بل تحّد منهجي وعقلي من لون مغاير، إنه قدرة الغرب على التحكم في لغة وثقافة كنا نعتقد أننا وحدنا نعرفها ونفهمها.

وأنشأ المستشرقون مدرسة لتعليم اللغة والأدب العربي في روما، وأنشأوا أول مطبعة بالحروف العربية عام 1514 واستمرت الظاهرة طوال ق17. كان انطلاق الحركة بقوة في القرنين 18و19 (كارليل 1804-يوسف هوايت 1814-دومبي 1801 سيما بتأسيس مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس (1795) بفضل المستشرق الفرنسي البارون سيلفستر دي ساسي Sylvestre de sacy فكثرت الجمعيات الاستشراقية، في روسيا وباريس وبريطانيا إيرلندا.. وأصدروا مجلات علمية عديدة، ومن أشهرهم: رينو- ديسلان- وستنفيلد- دوزي - مرجيليوث- نولدكه- غولدزيهر- جويدي- بروكلمان..

وكان لهم دور في:

- تأسيس الجمعيات ومعاهد الاستشراق التي جمعوا فيها ذخائر التراث الشرقي.

-إنشاء خزائن المحفوظات بالمكتبات الغربية التي نشرت بحوثهم ومنها: الجمعية الأسيوية بباريس 1820م والجمعية الملكية الآسيوية بلندن 1723م ومراكز الاستشراق في مدريد وروما وموسكو وصقلية وغيرها إضافة إلى المؤتمرات التي كان يعقدها المستشرقون حيث يلتقي فيها العلماء من شتى أنحاء العالم كما حدث في مؤتمر باريس سنة 1873م.

*** إصلاحات محمد علي باشا والخديوي إسماعيل:**

كان محمّد علي واليا على مصر، وقد شهدت فترة حكمه انتعاشا حضاريا، وطموحات كبيرة لتحديث مصر، وذلك من خلال إرساله البعثات العلمية إلى أوروبا، واستعانته بالمدرّسين الأوروبيين للتدريس في المدارس العسكرية والصناعيّة ممّا ولّد حاجة قويّة إلى تعلّم اللغات الأجنبيّة، فأنشئت مدرسة الألسن، وواصل الخديوي إسماعيل مسيرته حين أسّس دار الكتب المصرية عام 1870، وملأها بالكتب في كلّ المجالات، وأعاد إحياء جمعية المعارف التي أنشئت عام 1868، وقد عنيت بالترجمة والتأليف والنشر..

البعثات العلمية:

هي مظهر من مظاهر إصلاحات محمّد علي باشا الذي أرسل 11 بعثة سنة 1847: بعثة الفنون العسكرية إلى إيطاليا (1813) والميكانيك إلى إنجلترا (1818) وعلوم مختلفة إلى فرنسا (1826)، وقد ضمت رحلة سنة 1826 التي كان فيها رفاعة الطهطاوي 44 طالبا، في التخصصات الإدارية المدنية والعسكرية والسياسة والكيمياء والطب.. والترجمة.. وتوسّعت البعثات في عهد الخديوي إسماعيل (1830-1895) فبلغت 120 بعثة.

هذه البعثات عامل هام من عوامل الانفتاح والتطور ونقل العلوم، وقد أورد رفاعة في رحلته أن محمد علي كان يتابعها شخصيا ويرسل إليهم بالرسائل يحثهم فيها على طلب العلم والصنائع.

الطباعة:

كانت أهم حدث في مطلع النهضة، وأهم وسيلة ضمنت الاتصال وقوّته، وأمّنت انتشار الأفكار والأخبار والعلوم. كان تأثير المطابع الأولى باهتا (دير قزحيا بلبنان 1601- مطبعة نابليون خلال الحملة)1789) لكن المطبعة الأهلية (بولاق) [أسسها محمد علي1821] أسهمت بشكل واسع وتاريخي في طبع الكتب العلمية والأدبية والدينية لأكثر من 78سنة. ثم ظهرت مطابع أخرى (المطبعة الأهلية القبطية 1860- وادي النيل 1866 المطبعة الأمريكية لبنان-1834 وغيرها...).

الصحافة :

هي ثمرة من ثمار المطبعة، كما ساهم عامل الرحلات في تفعيلها. و(**الوقائع المصرية**) هي أول صحيفة عربية، أصدرها محمد علي عام 1828 بالتركية ثم مزدوجة اللغة ثم بالعربية فقط، ومن محرريها: حسن العطار- أحمد فارس الشدياق- محمد عبده.. وغيرهم من الأعلام. وتليها جريدة (**المبشر**) التي أصدرها الفرنسيون في الجزائر (1847) بالعربية والفرنسية، وهي صحيفة رسمية تصدر مرتين في الشهر وفي أوائل القرن .20 كثرت الصحف والمجلات الرسمية وغير الرسمية: (وادي النيل 1866- نزهة الأفكار 1869 وهي للمويلحي-وفي الشام نلقى: (مرآة الأحوال بالآستانة – 1855 حديقة الأخبار 1858 كما ظهرت (الرائد التونسي)

1861واستمرت إلى أوائل القرن، 20 وفي بغداد: (الزوراء لمدحت باشا 1868 وأصدر السوريون صحفا بمصر مثل: (الكوكب الشرقي 1873- والأهرام لسليم وبشارة تقلا 1875 والتي ما تزال تصدر بمصر.

ولكي ندرك تأثير الصحافة وأهميتها في النهضة، ينبغي أن نتذكر الأسماء التي كانت تحررها آنذاك، أمثال : عبد الله النديم- وجمال الدين الأفغاني- والبستاني- ومحمد عبده - والكواكبي.. فقد « أيقظت الصحافة الأذهان، وحملت إلى قرائها لواء الدعوات السياسية والفكرية المختلفة :التجزئة والوحدة الوطنية والإقليمية، الرابطة العثمانية والجامعة الإسلامية والقومية العربية.

جمعيات علمية ونواد أدبية:

كانت مظهرا من مظاهر التكتّل الثقافي، والتفاعل الأدبي والفكري بين المثقفين والمفكّرين والمصلحين، وساهمت مساهمة فعالة في ترقية الوعي الفكري للمجتمعات العربية، ومن أهمّها:

جمعية زهرة الآداب التي تأسست عام (1873) لسليمان البستاني وإبراهيم اليازجي.. ثم توقفت، وصودرت ثم ظهرت جمعية المقاصد الخيرية (بيروت)1880) لترقية الشباب المسلم، وفي دمشق (الجمعية الخيرية، 1878 والتاريخية، 1875والطبية (1887) وفي مصر (مجلس المعارف المصري، 1859 والجمعية الجغرافية، 1875 وجمعية مصر الفتاة لجمال الدين الأفغاني والنديم، وهي سياسية سرية..) وجمعية المعارف، 1868 والمجمع اللغوي، 1892 وجمعية العروة الوثقى 1891 وغيرها.

أكثر الجمعيات كانت تخفي أنشطة سياسية رغم تباينها وتناقضها أحيانا، ولذا قمعت في الغالب. فلفكرة الجامعة الإسلامية أسس جمال الدين الأفغاني (أم القرى، 1857م في باريس مع محمد عبده (جمعية العروة الوثقى). وللتيار العثماني تأسست جمعية الاتحاد والترقي، 1808 وفي سبيل الطائفية، نجد مثلا جمعية الإصلاح القبطية 1908. ومثّل التيار الوطني في النهاية أول حزب سياسي (الحزب الوطني (1879) تزعمه مصطفى كامل وكان وراءه جمال الدين الأفغاني. كما كان للتيار القومي عدة جمعيات، كجمعية بيروت السرية 1875 (نمر فارس- صّروف..)، وحلقة الشيخ طاهر الجزائري وضمت جمال الدين القاسمي وكرد علي وبعض

الضباط، وجمعية النهضة العربية 1906 لمحب الدين الخطيب، والإخاء العربي العثماني 1908.

ونلحظ في هذا السياق تقليدا جديدا يتمثل في النوادي الأدبية، ومن أشهرها ندوة توفيق البكري في بيته بين (1892-1912) حضرها علي يوسف، نمر فارس، الشنقيطي، المويلحي.. وندوة أحمد شوقي في بيته، يحضرها البشري وهيكل وحافظ إبراهيم وفكري أباظة... وندوة محمد بهجت البيطار بالشام وحضرها شكيب أرسلان والبشير الإبراهيمي.. وندوة أحمد زكي في بيته المفتوح لكل رواد العالم الإسلامي بين 1922-1934 كما تبرز ندوة مي زيادة منذ 1913 كل ثلاثاء يحضرها: لطفي السيد، إسماعيل صبري، شوقي، حافظ، ولي الدين يكن، أنطون الجميل رئيس تحرير الأهرام، والعقاد، والرافعي..

وفي الجزائر كان هناك الكثير من النوادي الأدبية، لكن الاستعمار قضى على معظمها، ومن بينها نذكر أوائل النوادي (نادي صالح باي) بقسنطينة أسسه المولود بن موهوب والمجاوي والحفناوي.. ثم نادي الترقي بالعاصمة الذي يعد شرارة قوية للحركة الوطنية والأدبية، وكان بالبليدة (نادي النهضة، 1932 ونادي التقدم، 1935) وفي سكيكدة نادي العمل 1936 وأسسه ابن باديس. وفي تلمسان النادي الإسلامي، وفي سطيف نادي الإرشاد 1936 ترأسه فرحات عباس، وغيرها...

مرجعيات النقد العربي الحديث وإرهاصاته

يمكن رصد مرجعيات النقد العربي الحديث من خلال تبيين أثر عوامل النهضة العربية في الحركة النقدية العربية الحديثة، كان لهذه العوامل أثر مزدوج على النقد الحديث، إذ سارت به في آن واحد في اتجاهين أساسيين ومتميّزين، وهما:

الاتجاه الإحيائي/ العودة إلى التراث

الاتّجاه التجديدي/ الانفتاح على الغرب

الاتجاه الإحيائي/ العودة إلى التراث

كان لعوامل النهضة دور في عودة النقد العربي -والثقافة العربية عموما- إلى التراث بحثا عن النموذج والأصيل وعن قيم العروبة والوحدة والقوّة لتجاوز تراكمات

عصور الانحطاط من جهة، ولتحقيق التوازن النفسي والحضاري أمام منجزات الغرب المبهرة من جهة أخرى، وتفصيل ذلك كما يلي:

= ساهمت **المطبعة** في تقوية هذا الاتجاه الإحيائي من خلال استخراج كنوز التراث العربي المخطوط، طبعت أمّهات الكتب العربية بما في ذلك النقدية والبلاغية واللغوية عموما على غرار (الآمالي) لأبي علي القالي، (العقد الفريد) لابن عبده ربه، (ألف ليلة وليلة)، (الكامل) للمبرّد، (البيان والتبيين) للجاحظ، و(الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني، و(مقدّمة) ابن خلدون، وكانت هذه الكتب مرجعا أساسيا للنقاد الإحيائيين.

= أمّا **المستشرقون** ورغم تعصّب بعضهم وتحلّله من الموضوعية، وارتباط جّلهم بالاستعمار، إلا أنهم قدموا خدمات هامة للعرب في مطلع النهضة ومن وجوهها ما يلي:

- **تحقيق وطبع بعض أمهات الكتب العربية القديمة** في اللغة والأدب والتاريخ والدين، اعتمادا على المخطوطات الأصلية، والتنبيه إلى أماكن وجود المخطوطات العربية في مكتبات العالم.

- **وضع معاجم** (عربية-أجنبية..) ودائرة المعارف الإسلامية، ومعجم مفردات القرآن- ومعجم الحديث..

- **ترجمتهم الكتب العربية** إلى لغاتهم ممّا أسهم في تعريف الغرب بثقافتنا، كما ترجموا دواوين شعرية ومعاجم وكتب التاريخ والدين.

- **منهجهم (الحديث) في التأليف وتنظيم الفصول**، من خلال الكتب والمجلات التي أصدروها، ساعد على تطور منهجية البحث والكتابة لدى العرب، فخرجوا من دائرة الحواشي والمتون.

= أدّت **الصحافة** دورا بارزا في تعزيز الاتجاه الإحيائي في الثقافة العربية بما في ذلك مظهرها النقدي بما تنشره من مقالات نقدية يناقش فيها كتّابها قضايا نقدية وبلاغية ولغوية ونحوية تتّخذ التراث إطارا مرجعيا لها، فعلى صفحات الصحافة ثارت أعنف المعارك الأدبية بين النقاد ممّا حقّق انتعاشا كبيرا للحركة النقدية العربية، ويكفي أن نذكر المعركة النقدية الضارية بين دعاة العامية خاصّة سلامة موسى وشبلي شميل ودعاة الفصحى وعلى رأسهم حافظ إبراهيم والعقاد والرافعي

الذين عادوا إلى التراث بحثا عن روائع الأدب العربي المكتوب بالفصحى كي يثبتوا أنّ اللغة العربية الفصحى صالحة لكل زمان ومكان.

الاتجاه التجديدي في النقد العربي الحديث:

ومن ناحية أخرى ساهمت هذه العوامل نفسها -وإن بدرجات متفاوتة- في تعزيز الاتجاه التجديدي في النقد العربي الحديث:

فقد نشرت **الصحافة** نصوصا إبداعية مترجمة كانت مرجعا للأدباء المجدّدين، ومادّة دسمة للنقاد لاختبار أدواتهم النقدية، كما نشر النقاد آراءهم وأفكارهم النقدية قبل أن يجمعوها في كتب مستقلّة، ويكفي أن نشير في هذا المقام إلى أنّ (**حديث الإربعاء**) لطه حسين كان في أصله مقالات أسبوعية نشرها طه حسين على صفحات جريدة (السياسة) قبل أن يجمعها في كتاب في ثلاثة أجزاء. وقس عليه كتاب (**الغربال**) لميخائيل نعيمة الذي كان في أصله مقالات متناثرة ذات نزعة تجديدية في مجلات مهجرية مختلفة.

ومن ناحية أخرى كانت الصحافة مسرحا لأشهر المعارك النقدية بين أنصار الاتجاه الإحيائي وأنصار الاتجاه التجديدي، تلك المعارك التي كانت نعمة للنقد العربي الحديث، ونقمة على النقاد المحدثين بما أثارته بينهم من ضغائن وأحقاد وتبادل شتائم، ... فعلى صفحات الجرائد والمجلات ثارت معركة (الذوق والنقد) بين محمد مندور وزكي نجيب محمود، وثارت معركة (الأدب المهموس) بين مندور وسيد قطب، ومعركة (المنهج النفسي) بين أنصاره وخصومه،.. وغيرها من المعارك التي شكّلت دفعا قويّا للحركة النقدية العربية الحديثة بما تخلقه من حراك وتوثّب ونشاط فكري حقيقيّ.

وكان **للمطبعة** دورها الحاسم في تقوية الاتجاه التجديدي في النقد العربي الحديث بما نشرته من كتب نقدية تشكّل علامة فارقة في تاريخ الحركة النقدية العربية، ومن تلك الكتب نذكر على سبيل المثال لا الحصر (**في الشعر الجاهلي**) لطه حسين عام 1926، و(**الديوان في النقد والأدب**) للمازني والعقاد عام 1921، و(**الغربال**) لميخائيل نعيمة عام1921...الخ.

توطئة :

«الإحيائية مرحلة تاريخية من مراحل التطوّر النقدي والأدبي، ويتجلّى فيها دور العقل بوصفه الأداة المعرفية الأساسية التي يتمكّن بها الإنسان من الكشف عن المعارف والحقائق بقدر من الثبات والعموم، وتؤدّي الإحيائية دورا إصلاحيا في المجتمع، ويؤدّي فيه الأديب والناقد دورا مماثلا لدور المصلح والمفكّر، وتنعكس آثار ذلك على الأدب وطبيعته ووظيفته»[1].

ويحلو للنقاد أن يقابلوا هذا المصطلح بآخر غربي، وهو «الكلاسيكية» الذي يعبّر عن جزء من التاريخ الأوروبي، ونعني القرنين 17 و18 حيث عُنِي الأدباء والمفكرون عموما بمحاكاة آثار الرومان واليونان، والتزموا أيّما التزام بقواعد النظرية الأرسطية، وشكّلت هذه النزعة محاولة لإحياء التراث الإغريقي والروماني والسير على منواله توخّيا لمثل أعلى يقودهم إلى التطوّر والرّقيّ.

النقد الإحيائي هو حصيلة اجتهادات النقاد غير المتخصصين/غير الأكاديميين، «فالنقد الأدبي في أواخر القرن التاسع عشر لم يتخلص تماما من الرؤية الماضوية، حيث ركز على الجانب اللغوي ومزج بين الذاتية والموضوعية، وفيه تقدير لحكم الذوق، كما أنّه يرى في الأدب العربي القديم النموذج الأمثل الذي ينبغي أن يحتذى، ولا يخرج الأدباء في بناء القصيدة عن الأغراض والأوزان وقيامها على وحدة البيت، وكذلك الأساليب البليغة والفصيحة التي أقرتها علوم البلاغة»[2].

وقد لخّص مؤلفا (**دليل الناقد الأدبي**) مسيرة النقد العربي الحديث بقولهما»فمن الاشتغال بالبلاغة بوصفها الأداة الرئيسة لدراسة الأدب والامتداد الطبيعي للموروث العربي فيما يتّصل بتلك الدراسة، إلى الانفتاح التدريجي والمتزايد، عبر العقود المتعاقبة، على الثقافة الغربية، وتبنّي تيّاراتها ومدارسها ومفاهيمها النقدية تمتدّ قصّة النقد العربي الحديث في توتّر متّصل يشغله الحنين إلى الموروث،

1- كريم عبيد الوائلي: تناقضات الحداثة العربية، بغداد، ص03.

2- محمد الصديق معوش: المصطلح النقدي عند جماعة الديوان، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة ورقلة، 2012، ص13.

وما يتضمّنه من محافظة على الهويّة، حينا، وتغريه الحداثة الغربية، وما يلوح فيها من تغيير ومواكبة، حينا آخر..»[1].

وقد أدّى تجاذب مرحلة الإحيائية بين التقليد والحداثة «ببعض المؤرخين [إلى أن] يعتبر المرحلة الإحيائية في الشعر العربي -ومن ثمّة النقد الأدبي- جزءا من العصر الحديث اعتمادا على أنّ إحياء الشعراء والنقاد العرب المحدثين للمعايير الشعرية والنقدية والبلاغية القديمة قد أقال الشعر من عثرته، أو موته (...) وإن ظلّ المثل الجمالي العربي القديم حاكما للشاعر ومانعا إيّاه من أن يقدّم تجربة الحياة المعاصرة بحقّ، أمّا بالنسبة للنقاد، فإنّ هذا الحكم السابق تزداد أهمّيته نظرا لأنّ الإحياء النقدي قد منع نقاده من الاقتراب من الحداثة، وتحكّم المعيار النقدي البلاغي فيهم...»[2].

ولتجاوز هذا التذبذب ارتأينا أن نقسّم النقاد الإحيائيين إلى فئتين:

إحيائيون تراثيون (محمد سعيد/ فتح الله/ شيخو)

إحيائيون منفتحون على علوم الإفرنج (الخالدي/الحمصي):

ولعلّ أشهر كتب النقد الإحيائي للفئة الأولى هي:

ارتياد السعر في انتقاد الشعر لمحمد سعيد

المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية لحمزة فتح الله

علم الأدب: مقالات لبعض مشاهير كتّاب العرب للأب لويس شيخو اليسوعي

ارتياد السعر في انتقاد الشعر لمحمد سعيد (ت1786)

سنوازن بين بعض مقولات هذا الكتاب وما جاء في أمّهات الكتب التراثية:

«واعلم أنّ الشعر الحقيقي والمشهور عند الجمهور -وهو لذيذ ومأثور- إنّما هو الذي أطنب في الكذب قائله، فأمّا ما ليس كذبة، فهو حكمة منظومة، وجواهر مرموقة، وآداب وفضائل بالشعر موسومة»[3]

1- سعد البازعي، ميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء/ بيروت، 2002، ص355.

2- سيد البحراوي : البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث، دار شرقيات، ط1، مصر، 1993، ص17.

3- عبد الحكيم راضي: النقد الإحيائي وتجديد الشعر في ضوء التراث ، دار الشايب، ط1، مصر، 1993، ص 52.

حسين المرصفي:
(الوسيلة الأدبية في علوم اللغة العربية):

حسين المرصفي (1815-1889) شيخ أزهري، برز أديبا في عصر الخديوي إسماعيل، من أوائل الأساتذة الذين درّسوا بدار العلوم، أتقن العربية وتعلّم الفرنسية بتقنية برايل كونه ضريرا، تتلمذ على يده أشهر النقاد والشعراء آنذاك أمثال أحمد حسن الزيات، طه حسين، محمود سامي البارودي، أحمد شوقي. ومن مؤلفاته:

رسالة الكلم الثماني: وهو كتاب ينسب في العادة إلى علم السياسة، وقد تحدّث في هذه الرسالة عن: الأمّة، الوطن، الحكومة، العدل، الظلم، السياسة، الحرية، التربية.

- **دليل المسترشد في فنّ الإنشاء:** كتاب في ثلاث مجلدات، يتناول مجموعة من المعارف والعلوم فإلى جانب حديثه عن الفكر وتقوية العقل واللغة، يتحدّث عن الإنسان وجسمه وتركيبه ووظائفه، ويستطرد للحديث عن فنّ الخطابة، وفي المجلّد الثاني يتحدّث عن الأغراض التي يحاول المنشئ حسن الصنعة في صياغة العبارة عنها، وإتقان الكتابة فيها باختيار العبارات الموافقة لأنواعها، واللائقة بجزئياتها، وفي المجلّد الثالث تحدّث عن طبقات الكتّاب.

(الوسيلة الأدبية في علوم اللغة العربية 1872)

هي مجموع المحاضرات التي كان يلقيها على طلبته في دار العلوم في السنوات الأولى من إنشائها، والكتاب في جزئين، ويربو عدد صفحاته عن 900 صفحة، وتعرّض فيه للمباحث التالية:

تعريف الأدب واللغة- في فقه اللغة- في قسم النحو ومقدّمته- قسم الصرف ومقدّمته- علم البلاغة وفنونه: فنّ البيان، وفنّ علم المعاني، وفنّ البديع- فنّ العروض والقافية (بحور الشعر وأنساق القوافي، الموشّح، الدوبيت، كان ما كان، والقومة)- الكتابة الإنشائية (وقواعد الإملاء)- مختارات شعرية. وقد عرّف فيه اللغة وعلومها كالتالي:

اللغة: هي علم يبيّن صور الألفاظ وتعيينها للأشياء، التي يفهمها العالم بوضعها لها.

الصرف: علم يبيّن صيغ الألفاظ وكونها أصولا وزوائد ومتبادلة الحروف وكيفية النطق بها.

الاشتقاق: علم يبيّن جعل بعض الألفاظ أصولا، وتفريع بعض آخر عنها.

النحو: علم يبيّن أحوال أواخر الكلمات عند تركيبها، وتقديم بعض الكلمات عنده على بعض، جوازا ووجوبا، وحذف بعض، وترك بعض، جوازا ووجوبا.

المعاني: علم يبيّن الأغراض المترتّبة على إيراد التراكيب في صور مختلفة، وأنّ لكلّ صورة غرضا.

البيان: علم يبيّن المجاز والكناية.

البديع: علم يبيّن أحوالا تعرض للفظ، فتكسوه حسنا ورونقا.

العروض: علم يبيّن الأوزان التي وزنت بها العرب أشعارها، كيفية وكمّية.

القوافي: علم يبيّن أحوالا تعرض لأواخر الأبيات، منها ما يكون لازما، ومنها ما يكون زينة، ومنها ما يكون عيبا.

الإنشاء: علم يبيّن كيفية تأليف الخطب، ورسائل المخاطبات، وما أشبه ذلك، ويسمّى «فنّ الكتابة والنثر» وصاحبه الكاتب والناثر.

النظم: ويقال له القريض، وقرض الشعر، وهو علم يبيّن كيفية النظم في الأغراض المختلفة، من حكم ووعظ ونسيب ومدح وعتاب وتعطّف وتأديب وغير ذلك.

الكتابة: ويقال لها «فنّ الرسم والخطّ» وهو علم يبيّن رسم الحروف على هيئات مخصوصة حسب ما عليه الاصطلاح.

التاريخ: علم يبيّن أسماء مشاهير النّاس وأزمنتهم، وأمكنتهم، وأعمارهم وأعمالهم،...»[1].

ويتّضح النزوع الإحيائي في كتاب (**الوسيلة الأدبية في علوم اللغة العربية**) والنهل من التراث بشكل لا مراء فيه، فـ«الحديث عن العلوم العربية مجتمعة حديثا يضمّه كتاب واحد يستهدف تقديم زاد ثقافي متكامل يتكفّل بتجنيب دارسه الخطأ في استعمال اللغة، والقدرة على إنشاء القول البليغ -شعرا ونثرا- هذا فضلا عن

1- حسين المرصفي: الوسيلة الأدبية في علوم العربية، ج1، ص60.